

العيد تحت الحصار[] الغلاء يعيد تشكيل عادات المصريين ويدفع الفرغ إلى القامش



الاثنين 23 مارس 2026 01:00 م

يضرّب الغلاء قلب العيد في مصر ويحوّل طقوسه من عادات مستقرة إلى قرارات اضطرارية تحكمها القدرة لا الرغبة[] لم تعد الأسر تناقش كيف تستقبل عيد الفطر، بل ماذا تستطيع أن تُبقي منه بعد موجات متلاحقة من ارتفاع الأسعار[] هذا التحول لا يظهر فقط في حجم المشتريات، بل في شكل الزيارات، وحدود الخروج، وطبيعة ما يدخل البيت قبل العيد[] وفي 10 مارس 2026 أعلن البنك المركزي ارتفاع التضخم السنوي في المدن إلى 13.4% خلال فبراير، وهو رقم يفسر لماذا صار كل استعداد للعيد أكثر كلفة وأقل اتساعًا[]

في سنوات سابقة، كانت خريطة العيد واضحة داخل أغلب البيوت المصرية[] كسوة جديدة للأطفال[] كعك وطوى[] زيارات عائلية واسعة[] وخروج ترفيهي ولو بإمكانات محدودة[] الآن تتفكك هذه الخريطة بنّاء بعد بند[] منطق الأولوية فرض نفسه بقوة[] الأسرة التي كانت تُنهي أكثر من التزام في وقت واحد، باتت تختار بين كسوة العيد واحتياجات المطبخ، أو بين زيارة الأقارب وكلفة المواصلات، أو بين خروجة للأطفال وفاتورة لا يمكن تأجيلها[] هذا ليس تغييرًا عابرًا في سلوك الاستهلاك، بل انكماش واضح في قدرة الأسر على الحفاظ على الحد الأدنى من الطقوس الاجتماعية[]

الزيارات تنكمش والخروج يصبح ترمًا

أكثر ما يكشف أثر الأزمة أن العيد نفسه صار أقل حركة وأضيق مساحة[] الزيارات العائلية لم تعد تمتد كما كانت، لأن الانتقال بين البيوت صار مكلفًا، ولأن الضيافة نفسها أصبحت عبئًا على ميزانيات مضغوطة أصلًا[] كثير من الأسر باتت تختصر الزيارات في دائرة محدودة أو تؤجل بعضها أو تكتفي باتصال هاتفي بدل الحضور[] هنا لا يكون التراجع مجرد توفير مالي، بل تراجع في واحدة من أهم الوظائف الاجتماعية للعيد، وهي إعادة وصل العلاقات وتأكيد الحضور العائلي المباشر[]

الأمر نفسه ينطبق على الخروج في أيام العيد[] الرحلة القصيرة التي كانت ممكنة قبل سنوات، أصبحت اليوم تحتاج حسابات معقدة تشمل المواصلات والطعام وأي إنفاق جانبي[] بعد زيادة أسعار الوقود في 10 مارس 2026، قال الخبير المالي محمد ماهر إن الوقود هو المحرك الأساسي لكلفة السلع والخدمات، وإن أثر الزيادة سيُمتد سريعًا إلى معدلات التضخم[] هذا التقدير يفسر لماذا انكمش خيار الخروج لدى قطاعات واسعة من المصريين، ولماذا صار البقاء في المنزل هو البديل الأرخص والأكثر شيوعًا، حتى لو جرى تقديمه للأطفال باعتباره اختيارًا لا اضطراريًا[]

البيت المصري يختصر العيد إلى الحد الأدنى

داخل البيت، تبدو ملامح التراجع أشد وضوحًا[] بعض الأسر تستبدل شراء الكعك بإعداده منزليًا لتقليل الكلفة[] وأسر أخرى تستغني عنه أصلًا بعدما أصبحت حتى البدائل الاقتصادية تحتاج قدرة ليست متاحة للجميع[] في 14 مارس 2026 أعلنت وزارة التموين طرح كعك وبسكويت العيد عبر منافذها بأسعار مخفضة، ما يعكس إدراكًا رسميًا بأن السوق الحر بات خارج قدرة شرائح واسعة[] لكن وجود منافذ أرخص لا يلغي أصل الأزمة، لأنه يعني ببساطة أن سلعة مرتبطة بالعيد تحولت من عادة عامة إلى عبء يحتاج تدخلًا استثنائيًا لتخفيفه[]

الضغط نفسه ينسحب على كسوة العيد[] رئيس شعبة الملابس الجاهزة خالد فايد قال في فبراير ومارس 2026 إن السوق يعاني ركودًا وضعفًا في المبيعات رغم التخفيضات، وإن السؤال المسيطر لدى المستهلك أصبح مرتبطًا بالسعر قبل أي شيء آخر[] هذه الشهادة مهمة لأنها تكشف أن المشكلة ليست في نقص المعروض، بل في عجز الطلب نفسه[] الملابس موجودة[] التخفيضات موجودة[] لكن القدرة الشرائية تتراجع إلى الحد الذي يجعل الشراء الموسمي، حتى في العيد، قرارًا مؤجلًا أو ناقصًا أو مستبعدًا بالكامل[]

من هنا صار مشهد الاستغناء متكررًا داخل بيوت كثيرةٍ أب وأم يقدمان السلع الأساسية على فرحة مؤجلةٍ طفل يحصل على قطعة واحدة بدل طقم كاملٍ وأسرة تلغي خروجة العيد كي تواجه أسبوعًا آخر من المصروفات الثابتةٍ هذا التبدل يكشف أن الفرحة نفسها دخل قائمة البنود القابلة للحذفٍ لم يعد السؤال عن جودة الاحتفال، بل عن إمكان الحد الأدنى منهٍ وكلما ضاق الدخل الحقيقي، تحولت المناسبة من فسحة اجتماعية إلى اختبار قاسٍ لإدارة العجز داخل الأسرةٍ

الضغط النفسي يسبق نهاية الزيارة

الأخطر أن التحول لم يعد اقتصاديًا فقطٍ استشارية العلاقات الأسرية سماح عبد الفتاح قالت في 7 مارس 2026 إن أيام العيد كثيرًا ما تشهد توترًا بسبب التوقعات غير الملباة والمقارنات داخل الأسرةٍ وفي السياق المصري الحالي تزداد هذه الضغوط لأن الفجوة بين ما يريده الناس وما يستطيعون تحمله تتسع بسرعةٍ حين يعجز البيت عن تلبية ما اعتاده الأطفال أو ما تنتظره الأسرة من العيد، يتحول اليوم المفترض أنه مساحة راحة إلى مساحة شد نفسي، وتصبح المقارنة مع الآخرين جزءًا من العبء لا مجرد تفصيل عابرٍ

ما يحدث إذن أعمق من تقليص نفقات موسميةٍ العيد في مصر يتغير تحت ضغط اقتصاد يضغط على الجيب ثم يضغط على العلاقات ثم يضغط على المعنى نفسهٍ المصريون لا يزالون يحاولون التمسك بما أمكن من الطقوس، ولو في صورتها الرمزية والضيقةٍ لكن الصورة الأوضح الآن أن الأزمة نجحت في إعادة رسم ملامح المناسبة من جديدٍ لم يعد الاحتفال هو الأمل والتقليص هو الاستثناءٍ صار العكس هو القاعدةٍ وهذا بالضبط ما يجعل العيد بطعم الأزمة لا بطعم الفرحةٍ